بسام الشكعة
رجـــــل
وشـــــعب
في مواجهـــة
الاحـــــتلال

(١٤)

الطرد

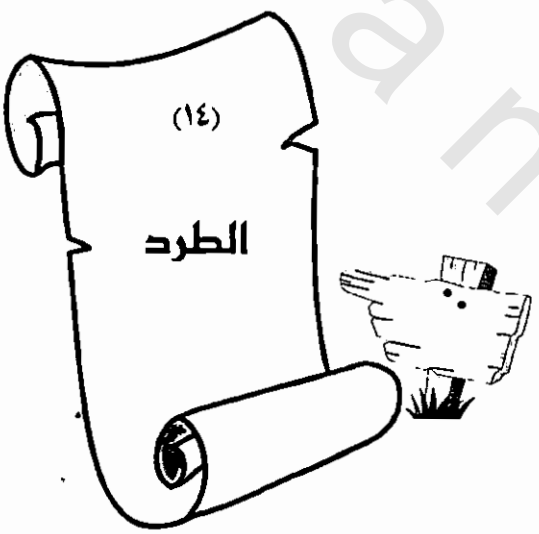

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

يعتقد بسام الشكعة أن ما جرى له هو نتيجة حتمية لتصاعد الأحداث والمواقف في الماضي والحاضر . وهو ما تم وصفه في صفحات هذا الكتاب .

وكما يقول : أن أسلوب التعامل الذي جرى مع رئيس بلدية النبطة تعطي مؤشرًا واضحًا للكيفية التي ينظر بها الاحتلال الإسرائيلي إلى زعماء وقادة المجالس البلدية الفلسطينية .

طبقًا للإعلان العالمي لحقوق الإنسان لا ينبغي أن يرسل إنسان إلى المنفى . ولكل إنسان الحق في العودة إلى وطنه . في شهادة لعبد الجواد صالح – رئيس بلدية البيرة (مدينة وقع عليها مؤخرًا عقوبات وحشية نفذتها وحدات من الجيش الإسرائيلي ومن المستوطنين – قال في ١٩٧٧ :

الطرد يمارس بواسطة الدولة الإسرائيلية لإزاحة الزعماء من بلدانهم لأن الهدف هو خلق مجتمعات بها أقليات عربية بلا زعماء . ولا قيادات . ولا قدرات فنية .

ونتيجة لسياسة تفريغ الأرض لا يصبح عليها من العرب سوى عمالة غير ماهرة ليواجهوا بها نقص العمالة التي يعاني منها المجتمع الإسرائيلي .

قام الإسرائيليون بطرد ١٥٦٠ من القادة الفلسطينيين عن مجتمعاتهم . الأغلبية منهم لم يمارسوا السياسة . وعمليات الطرد بالجملة التي تتم لهذه الأعداد الكبيرة وبهذه النسبة للقادة والزعامات الفلسطينية تبدو سياسة مخططة مسبقًا لنفي وإبادة الشعب الفلسطيني بلا إستثناء لم يتلقى – المرحلون – أي تحذير قبل إجراء عملية الطرد .

النموذج الفعلي الذي تتم في حالة الدكتور حنا نصير الأستاذ بجامعة بيرزيت الذي قبض عليه الساعة ١١,٣٠ ليلاً يوم ٢١ نوفمبر ١٩٧٤ بدون تهمة .

غطيت عيناه . قيدت يداه . ثم أرسل إلى الأراضي اللبنانية ولايسمح له برؤية

بلاده ثانية .

غالبًا ما يتم توطين الفلسطينيين في مناطق يسكنها المارونيون مما يمثل خطرًا عليهم . الذي جعل حالة رئيس بلدية نابلس حالة فريدة واستثنائية هو أن الإسرائيليين أعلنوا عزمهم طرده وترحيله من نابلس .

في نوفمبر ١٩٧٩ أعلن في وسائل الإعلام الإسرائيلية والغربية أن الإسرائيليين يعتزمون ترحيل الشكعة وطرده لأنه رفض إدانة الهجوم الذي وقع على شاطئ تل أبيب في ١٩٧٨ .

لم يفكر أحد أن يسأل الشكعة : ماذا حدث؟ وقامت الصحافة بتقديم رؤية الحكومة الإسرائيلية الرسمية فقط للأحداث .

قال يوسي ساريد عضو الكنيست عن حزب العمل (بلا تمحيص حقيقي) قال : أن الآراء التي رددها رئيس بلدية نابلس هي آراء تتسم بالتوبيخ والاحتقار . ولكن لسوء الحظ – أن هذه آراء العديد من الفلسطينيين الذين يعيشون في الضفة وغزة .

هذا يثبت أن فكرة التعايش في ظل ظروف الاحتلال – مجرد وهم وزيف .

قالت اللجنة المركزية لحزب المابام (ائتلاف حزب العمل) : أن التصريحات التي أدلى بها رئيس بلدية نابلس سوف تجري إدانتها بصرف النظر عما لو كانت تعادل الإدانة الكاملة للقتلة في حادث الشريط الساحلي بتل أبيب أو التأييد النسبي لهم[1] . الذي جرى في الواقع هو أن الجنرال داني مات المنسق الإسرائيلي للأراضي المحتلة أرسل في استدعاء بسام الشكعة الذي جاء ودخل غرفة المكتب ووجد ضباطًا ذوي رتب عالية . كان هناك ستة أو سبعة أشخاص . جرى تصافح بالأيدي وسأل الجنرال داني مات الشكعة عن رأيه فيما جرى من أحداث ؟ أجاب الشكعة أنه

(١) ملحوظة للمترجم : هي العملية الفدائية التي هاجمت فيها المقاومة أتوبيسًا إسرائيليًا ١٩٧٨ .

يعتقد أن الأمور تتطور إلى الأسوأ . وتحدث عن الصعوبات التي تواجه البلديات (حتى لو توفرت الأقوال من البلاد العربية فإن الإسرائيليين يرفضون بناء المدارس والمستشفيات وتصاريح المياه .

وتحدث عن الوضع الاقتصادي السيئ مع وجود نسبة تضخم تبلغ ١٣٠٪ تحدث عن الوضع القائم والذي يتمثل في حرمان القرى والمدن الفلسطينية من أي تمويل بينما يصب المعونات المالية في المستوطنات اليهودية وشرح بسام الشكعة الأوضاع السيئة التي يواجهها المسجونون السياسيون وأشار إلى حادثة وقعت داخل سجن طولكوم حين كان المسجونون يؤدون صلاة الجمعة في أحد الأيام وفي وجود الإمام أطلق الجنود النار عليهم . قال مات : أنه لم يسمع بهذا الأمر . ووعد ببحث الموضوع . قال أيضًا أنه سيبحث موضوع نادر الفوري عندما حدثه الشكعة بشأنه ونبه إلى أهمية .

تحدث الجنرال مات عن اثنين من المسجونين . وقال أن أحدهما قتل زوجته بسبب الخيانة والآخر شارك في الهجوم على الأتوبيس الإسرائيلي بشاطئ تل أبيب الساحلي . وبالتالي فهو قاتل أيضًا وليس هناك شيء يتعلق بالسجن السياسي .

وأخذ مات يتحدث عن أعمال P.L.O منظمة التحرير الفلسطينية وسأل الشكعة إن كان قد أدان عملية الشاطئ الساحلي بتل أبيب أم أيدها ؟!

أجاب الشكعة أنه يدرس ويفحص مثل هذه الأعمال محاولاً تفهم دوافعها دون أن يقوم بالمساندة أو الإدانة .

«لو أن لدي ابن وارتكب خطأ ما سوف أحاول أن أعرف لماذا فعل ذلك . لو أنني وجدت أن هناك سببًا لهذا الفعل سوف أحاول التعامل مع الأسباب التي أدت إلى هذا الفعل . لكن لو أنني وجدت أنه لا توجد أسباب لسوء التصرف الذي بدر

منه . عندئذ سوف أذهب به إلى الطبيب » .

ويمضي الشكعة – قائلاً : رغم أن الفلسطينيين نفذوا هجومًا فإن الإسرائيليين ارتكبوا جرائم عدة . في جنوب لبنان وفي السجون . وضد الناس المقيمين في الأرض المحتلة ثم استطرد : إسرائيل لم تحترم حقوق الفلسطينيين كبشر وآدميين .

سأل مات :

هل تؤيد إذن واقعة الهجوم على الأتوبيس بساحل تل أبيب؟

قال الشكعة :

لم تسأل هذا السؤال؟ لقد شرحت لك وجهة نظري . أنتم تهاجمون الناس وتحرمونهم من أبسط حقوقهم الإنسانية ولهذا هم يقومون بالرد على ما تفعلونه يثأرون .

لقد تلقيت خطابًا من أحد الجنود الإسرائيليين شارك في حرب لبنان . قال أنه يشعر بالخجل لأنه يحارب في صفوف الجيش الإسرائيلي بسبب ما شاهده من فظائع . أعداد متزايدة من الجنود الشبان قدموا للمحاكمة لرفضهم الخدمة في الأراضي المحتلة) .

استمر رئيس بلدية نابلس قائلاً :

إذا كان الإسرائيليون يعتبرون هجماتهم على جنوب لبنان رد فعل إزاء بعض الأعمال الفلسطينية فكذلك الفلسطينيون يعتبرون ما يقومون به رد فعل مماثل لما يفعله الإسرائيليون .

على الإسرائليين أن يدركوا أنهم حتى يتم وقف هجماتهم التي تمثل انتهاكات للقوانين والشرائع – فعليهم أن يتوقعوا عمليات ثأرية من جانب الفلسطينيين لأن إسرائيل ليس لها وحدها الحق أن تفعل ما تشاء .

أبدى الجنرال مات دهشته قائلاً : لو أن الضفة الغربية خاضعة للحكم الأردني فلن يسمح لك أن تقول مثل هذا الكلام .... بالطبع إسرائيل دولة ديمقراطية . أجاب الشكعة : ليست المسألة أن يستطيع الكلام أو لا يستطيع ففي الأردن لا أحد يقول له أن هذه الأرض ليست ملكًا له . ولا أحد يقول له أن البيت الذي يعيش فيه ليس بيته .

ثم أضاف : حركات النضال العربي الداخلي – هي حركات في سبيل الديمقراطية . ولكن لا أحد على الإطلاق يقول لي أنت أجنبي على الأرض والمدينة والقرية التي أعيش عليها .

أي نوع من الديمقراطية هذه ؟

قال الجنرال مات : المناقشة انتهت وأضاف أنه سعيد بلقاء رئيس بلدية نابلس ، ويأمل أن يراه مرة ثانية .

بعد أن عاد الشكعة إلى مكتبه جاءت أخت نادر الفوري وقال لها أنها جاءت في اللحظة المناسبة تمامًا لأنه كان يناقش حالة أخيها مع الجنرال مات الذي وعد ببحث الأمر . بعد نصف ساعة رن جرس التليفون وجاءت مكالمة من إذاعة إسرائيل تعلن أن الجنرال مات صرح أن رئيس بلدية نابلس قال أنه يؤيد الهجوم على الأتوبيس بالشريط الساحلي لتل أبيب .

في اليوم التالي نشرت صحيفة هاآرتس عناوين صحفية على الصفحة الأولى :

إنني متعاطف تمامًا مع القتلة في حادث الشريط الساحلي . بسام الشكعة .

عقب هذا التقرير الصاخب كانت هناك عاصفة في الكنيست ووزارة الدفاع . وعد أعضاء الكنيست الغاضبين بالتحقيق وبحث الأمر .

رغم أن الشكعة لم يخطر بأي شيء رسميًا إلا أنه سمع أن وزير الدفاع أزرا

وايزمان ورئيس الوزراء قرر طرد رئيس البلدية .

في نفس هذا الوقت تقدمت زوجة الشكعة ومحاميه يطلب إلى المحكمة العليا لإسقاط هذا القرار .

قام المنسق العسكري باستدعائه ثانية وقال أنه يجري ترحيله خارج نابلس لأنه يقوم بتحريض الناس ضد مصلحة الدولة الإسرائيلية .

أجاب الشكعة : أن الناس اتخذوا الموقف الذي يريدونه بأنفسهم ولم يقم بتحريضهم .

في هذه اللحظة . أدرك أن الحديث الذي جرى مع الجنرال مات تم للإيقاع به .

عاد إلى نابلس وقال للناس أنه سيقاوم قرار الطرد . قال : هذا وطني . سأعيش هنا وأموت هنا . أيضًا سوف أناضل من أجل حريتي .

أهل نابلس أكدوا أنهم سيشاركون النضال ضد الاحتلال لأن الأرض أرضهم أيضًا . اجتمع رؤساء بلديات مدن الضفة وأعلنوا أنهم سوف يستقيلون إذا ما اتخذ أي إجراء لترحيل وطرد عمدة نابلس .

قامت عدة مظاهرات ضد قرار الطرد . وكان هناك إضراب في الضفة .

تم استدعاء الشكعة مرة ثانية إلى مكتب المنسق العسكري حيث وجد ثلاثة رجال من العسكريين بالحكومة المسئولين عن الضفة الغربية .

وا أمر الطرد وقالوا أنهم سيضعونه في سجن رام الله . سأل إن كان بوسعه ا. سال تليفونيًا بزوجته السيدة عناية وسمح له بإجراء المكالمة التليفونية قبل أن يتم ترحيله إلى السجن .

حين دخل السجن كان أمامه الوقت الكافي لتأمل الأحداث في الفترة الماضية .

قبل عدة شهور تم استدعاؤه ، ورتبوا له لقاء مع وزير الدفاع (حينذاك كان آزر فايتسمان) .

دخل الشكعة غرفة المكتب . شاهد عددًا من الضباط ذوي الرتب العسكرية العالية . قال فايتسمان : إنه يرجو أن ينتبه الشكعة جيدًا لما سيقوله لأنه سيؤثر على حياته وعلى مستقبله .

أضاف فايتسمان : أن بسام الشكعة يواجه إسرائيل والسلطات ليست مستعدة لقبول هذا الموقف أو أن تسمح له بالاستمرار فيه .

أضاف فايتسمان : لو أنك واصلت الاستمرار في هذا الموقف سنعاقبك بدنيًا .

ركز وزير الدفاع على هذه الكلمات . بعد ذلك أرسل له المنسق العسكري مؤكدًا نفس التهديدات . قال : لو أنك واصلت الاستمرار في هذا الطريق سوف تواجه أسوأ شيء لم يحدث لك من قبل في حياتك .

لم يكن لدى الشكعة أدنى شك أن السلطات العسكرية تكرهه . ليس هو فقط ولكن تكره رؤساء بلديات الضفة كلهم . وكذا الشعب الفلسطيني .

...

رغم التهديدات التي تلقاها لم يخطر بذهن بسام الشكعة المدى الذي يمكن أن يصل إليه الإسرائيليون في تخطيطهم لو أنهم فشلوا في طرده .

« لقد فكرت أنهم لو كانوا يعتبرونني شخصًا مزعجًا لهم فمن المحتمل تدبير حادث قتل عرضي لي . سيبدو الأمر كأنه مجرد حادث بالصدفة . مثل هذه الحوادث وقعت عدة مرات .

ثم سجن الشكعة لمدة ٢٦ يومًا ، وأضرب عن الطعام لمدة أسبوعين احتجاجًا على سجنه بدون قضية وبلا اتهام . وكذا على قرار طرده بدون سبب .

تضامنًا مع بسام الشكعة في استدعائه للمحكمة العليا تقدم ٢٤ رئيس بلدية مدينة بالضفة باستقالاتهم بينما استمرت الاضطرابات والاحتجاجات في الضفة .

اثنان من رؤساء بلدية الضفة المستقلين : كريم خلف رئيس بلدية رام الله . وإبراهيم الطويل رئيس بلدية البيرة اتهما السلطات الإسرائيلية بتلفيق التهم ضدهما لإسكاتهما .

محاولة نفي وإبعاد السيد بسام الشكعة رئيس بلدية نابلس والإجراءات المتصاعدة ضدنا هي جزء من مخطط إسرائيلي يهدف إلى إخلاء الضفة الغربية من القيادات القادرة على مواجهة سلطات الاحتلال ومخططاته الإجرامية .

أضاف : أنها محاولة مكشوفة لإسكات الرجال الذين انتخبوا في مواقعهم بواسطة الشعب الفلسطيني .

رئيس بلدية بيت جالا تم طرده أيضًا من منصبه العام الماضي بعد توجيه اتهام مماثل له (لإزاحة هؤلاء رؤساء البلديات استخدمت السلطات الإسرائيلية نصًا في القانون الأردني يقضي بأن الموظف العام إذا ما وجد مدينًا في تهمة تمس الشرف فإنه يبعد عن منصبه ولا يسمح له بالترشيح ثانية) .

ولأنه كان مستحيلاً تجاهل الغضب العام الذي اجتاح الضفة والاحتجاجات العالمية المتصاعدة ضد هذا الإجراء الذي اتخذته سلطات الاحتلال فقد قررت إسرائيل الإفراج عن الشكعة من سجنه وإعادته إلى موقعه كرئيس بلدية لنابلس .

لم يكن هذا هو – لسوء الحظ – نهاية القصة في الشهور التالية حين مارس الشكعة مهام منصبه أحس بالمرارة لأن أحدًا لم يسأل ما الذي قاله بالضبط للجنرال مات وعما إذا كان إبعاده والتهديد بترحيله له مبرر حقيقي .

مع ذلك لم يدر بخلده ولا خطر له أن التهديد الذي واجهه كان هناك متاعب أخرى أكد ما تزال تنتظره عندما قامت السلطات الإسرائيلية بترحيل كل من محمد

ملحم رئيس بلدية حلحول . فهذه القواسم رئيس بلدية الخليل والشيخ رجب التميمي قاضي الخليل عندما تم ترحيلهم إلى لبنان فإن الإسرائيليين تعلموا درسًا من قضية الشكعة .

الإسرائيليون يريدون التخلص من رؤساء البلديات بإبعادهم لأننا كنا متهمين بالتحريض وإثارة الشعب الفلسطيني ضد سلطات الاحتلال ولكن كما قلت من قبل الشعب الفلسطيني قادر على التفكير بنفسه . منذ أن فكر الإسرائيليون في إيجاد زعماء للبلديات يتعاونون معهم لكنهم فشلوا في ذلك .

ولذا فإنهم مارسوا كل أساليب الاضطهاد بالترحيل والاعتقال والهجمات علينا .

◆◆◆